تقييم استراتيجي اولي لمعارك ١٦ و١٧ ايلول

هـ. أ.

في فجر السبت ١٦ أيلول تحركت وحدة آلية اسرائيلية تضم مختلف صنوف الاسلحة نواتها المدرعات والمشاة المحمولة ، واجتازت الحدود اللبنانية من ثلاث نقاط مستخدمة محاور عديسة — الطيبة — القنطرة ، وعيترون — عيناتا — بنت جبيل ، ورميش — عين ابل — بيت ياحون . « واتصلت السلطات الاسرائيلية بلجنة الهدنة وابلغتها ان هدف دخول قواتها منطقة الجنوب هو تمشيطها من الفدائيين » (النهار ٧٢/٩/١٧) ، وأعلن الناطق العسكري الاسرائيلي منذ بدء القتال بأن هدف هذه الوحدة المهاجمة القيام بأعمال «التمشيط والتطهير» ضد قواعد المقاومة المستخدمة « كاماكن تجمع وقيادة » ، ثم ربط هذا الناطق بين العمليات العسكرية وحوادث الحدود ، واشار الى مقتل جنديين اسرائيليين في منطقة هاردوف بتاريخ ١٤ أيلول ، ومقتل جندي آخر في منطقة كفر برعم قبل عشرة ايام(١). ولم تأخذ الاوساط السياسية والعسكرية وأوساط المقاومة هذه التصريحات مأخذ الجد ، واعتبرها الكثيرون خدعة اسرائيلية تستهدف تخفيف حدة رد الفعل العالمي على هذا العدوان ، والحد من ردود فعل القيادات السياسية — العسكرية اللبنانية التي أعلنت عن تصميمها على القتال دفاعا عن الوطن مهما كان الثمن غاليا .

وظهر وسط التحليلات الاولية للموقف رايان اساسيان : يقول احدهما بأن العملية لا تخرج عن كونها ضربة موجهة الى قواعد المقاومة ، ولا تختلف عن الضربات السابقة الا بحجمها وضخامة القوة المشتركة فيها وعمق تغلغلها داخل الاراضي اللبنانية ، على حين يقول الراي الاخر بأنها عملية تستهدف احتلال جنوب لبنان حتى الليطاني ، والمساومة بعد ذلك على الانسحاب مقابل تعهد الحكومة اللبنانية بابعاد قواعد ومراكز المقاومة عن الحدود ومنعها من العمل عبرها ، ان لم يكن تعهدها بتصفية الوجود السياسي — العسكري لحركة المقاومة في لبنان كله(٢).

ويمكننا ان نؤكد بشكل قاطع على ان الراي الاول كان بعيدا عن الصواب لان طبيعة القوة المهاجمة وتشكيلها وحجمها لا تنطبق بأي شكل من الاشكال على طبيعة وتشكيل وحجم القوات المخصصة للعمل ضد العصابات ، خاصة وان قوة المقاومة الرئيسية متمركزة في المنطقة الشرقية التي تعارضت الصحافة العالمية على تسميتها باسم « فتح لاند » ، على حين أن تواجد قوات المقاومة في المناطق التي تعرضت للهجوم « محدود جدا » ولا يشمل « الا بعض القواعد الصغيرة ونقاط المراقبة التابعة لها »(٣). ومن المعروف ان العمل ضد هذا النوع من القواعد الصغيرة لا يتطلب هجوما برياً بلواء مدرع معزز بالمشاة المحمولة والمدفعية والمهندسين ، وتحت تغطية جوية كاملة ، ولا يستخدم هذا النوع من المدرعات المتوسطة والثقيلة والمدفعية الثقيلة ، بل يلجأ الى استخدام وحدات آلية خفيفة الحركة تضم عددا كبيرا من المشاة والقوات الخاصة ، وتعتمد قوتها النارية اساسا على الدبابات الخفيفة والمدفعية المحمولة الخفيفة ، وتطبق قبل « التمشيط والتطهير » عمليات قصف جوي تليها عمليات تطويق تنفذها قوات محمولة جوا تسيطر على المحاور الاساسية ، وتعتمد في المطاردة اساسا على وحدات محمولة بالهليكوبتر .

ومن المعروف ان عملية « التمشيط والتطهير » لا تكتفي بالسير على محاور الطرق وتدمير المقاومات وسدادات الطرق المقامة عليها ، بل تعمل على الاندفاع بعمق على الطرق لتحقيق التطويق ، ثم تبدأ تطهير الجيوب والجزر . فكيف تصرفت القوات المهاجمة ؟ لقد تمكن الرتل المتقدم على محور العديسة — الطيبة — القنطرة من اغلاق الطوق